التميز في عهد الملك رمسيس الثالث (1151 – 1182) ق.م ما بين الحرب والدفاع عن مصر والإستقرار فيها والتمرد والمؤامرة في الداخل

مها ادورد الأحمر[1]، أ. د. جهاد سمعان عبود [2]

[1]طالبة دكتوراه، جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تاريخ قديم.
maha.alahmar@damascusuniversity.edu.sy
[2]عضو هيئة تدريسية في جامعة دمشق كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تاريخ قديم.
Jehad.aboud@damascusumivercity.edu.sy

الملخص:

يتناول هذا البحث لمحة شاملة عن التميز في عهد الملك المصري رمسيس الثالث حسب 1151 – 1182 ق.م) ما بين الحرب والدفاع عن مصر والإستقرار فيها والتمرد (المصادر والمؤامرة في الداخل، حيث كان من الملوك العظام الذين حكموا لفترة طويلة والذي كان عهده بداية لحكم أسرة جديدة لعبت دوراً مهماً في تاريخ مصر. فكان عهده غني بكل المقاييس حيث كانت البداية بالدفاع عن حدود مملكته ضد الهجمات من جميع الجهات وبشكل خاص شعوب البحر الذين كانوا على درجة كبيرة من القوة بالإضافة إلى قناعتهم بأن أرض النيل هي المكان المناسب للعيش فيه والدليل على هذه القناعة إحضارهم لنسائهم وأطفالهم معهم وكذلك استطاع التغلب على هجوم القبائل الليبية ومن ثم التوسعات وامتداد رقعة دولته، حتى كان هناك تحولات جذرية في مجال الفن وهو أن الملك بعد ان كان يتم تصويره بأحجام غير حقيقية أصبح على حجمه الحقيقي والطبيعي، كما كان الملك هو خليفة الإله على الأرض وأحكامه وقراراته هي أوامر من وحي الإله وعلى الشعب تنفيذها بدون أي تفكير لأن الملك هو العارف بمصالح شعبه، ولكن على الرغم من ذلك حصل في عهده إضراب للعمال هو الأول من نوعه والأول في الدولة المصرية على مدى تاريخها الطويل كما كان هناك في أواخر عهده مؤامرة كبيرة اشترك

فيها عدد كبير من الموظفين الكبار في البلاط الملكي والجيش والكهنة وكانت تتولى الزعامة في تلك المؤامرة إحدى زوجات الملك الثانويات والتي كانت تطمح أن يعتلي العرش ابنها بدلاً من الوريث الشرعي رمسيس الرابع.

الكلمات المفتاحية: حكم الملك رمسيس الثالث، الأخطار الخارجية، إضراب دير المدينة، مؤامرة الحريم.

The Country Inner Conditions of Ramsis The Third (1182 -1151 B.C.)

Maha Edward al-Ahmar[1], Dr. Jehad Samaan Aboud[2]

[1]PhD student, Faculty of Arts and Humanities, Damascus University, Ancient History.
[2]Faculty member at the University of Damascus, Faculty of Arts and Humanities, Ancient History.

ABSTRACT

This research talks about a general overview about the country's inner conditions in the period of the Egyptian king, Ramsis The Third according to the references (1182-1151 B.C.) when he was one of the most important kings, who ruled for a very long period, and whose period was the beginning of the rule of a new dynasty that played a very important role in the history of Egypt. His period of ruling was rich for all measures as it was the start of the defense of his kingdom from all invasions coming from all sides, especially from the people who lived overseas. Those people were very powerful, in addition to their conviction as the land of the Nile was the convenient place to live in. The proof, to that conviction, was their association of their wives and children with them. He also could control the invasion of the Libyan tribes and the expansion, and extension of the area of his kingdom. Even there was fundamental changes in the realm of art. He was shown much bigger than the natural human size. Then he became like normal persons. As the king has been the representative of God on earth, and his rules and decisions had been orders given by the inspiration of God to govern the people, his subjects had to fulfil them without thinking. That's because the king had been the knowing side of the advantages of his people. During his period, there was a laborer

strike which was the first of its kind, and the first in the Egyptian state, in its very long history. At the end of his ruling, there also was a big conspiracy inside his palace which a large number of high employees participated in. This conspiracy took place with the participation of the employees of the kingdom's palace, the army and the priests. The leading hand was one of the secondary wives of the king. She was aspiring for giving the throne to her son instead of the legal inheritor.

المقدمة:

تعد دراسة هذا البحث على درجة كبيرة من الأهمية بسبب التغيرات الكبيرة التي حدثت في مصر مع بداية حكم الأسرة العشرون والتي كانت البداية بوريث غير شرعي بالإضافة إلى التحديات الخارجية الكبيرة التي تعرضت لها دولة عظمى كمصر والأحداث والتغييرات الداخلية التي كانت خارجة عن المألوف والمتعارف عليه على مر السنين الطويلة من تاريخ مصر العريق.

فبالنسبة للخطر الخارجي فقد تعرضت مصر لأعنف غزو هو غزو شعوب البحر الذين سحقوا كل ما كان يقف في طريقهم وكانوا على درجة من القوة تزرع الخوف في نفوس الناس حتى قبل وصولهم بالإضافة إلى القبائل الليبية التي كان لها أكثر من هجوم على مصر وهذه المخاطر أخذت حوالي خمسة عشرة عاماً من حكم الملك رمسيس الثالث حتى استطاع درء جميع الأخطار الخارجية وأعاد الأمن والاستقرار إلى مصر.

عندها استطاع الملك الالتفات إلى الأمور الداخلية المؤجلة والتي كان يتوجب عليه القيام بها فور تسلمه الحكم حسب البروتوكول المعتمد لكل ملك يتسلم الحكم ومنها تفقد المعابد وبناء الجديد منها، لكن مع كل ذلك كانت السنين الأخيرة من حكمه قبيل الاحتفالات باليوبيل الفضي مليئة بأحداث لم تشهدها مصر من قبل وهي إضراب عمال دير المدينة الذين ثاروا بسبب الفقر

وقلة الطعام وعدم حصولهم على أجورهم المستحقة مما دفعهم إلى العصيان والمطالبة بحقوقهم وخروجهم أكثر من مرة. كما كانت هناك مؤامرة كبيرة كادت تودي بحياة الملك قامت بها إحدى زوجات الملك الثانويات التي استطاعت إمالة عدد كبير من النساء ورجال الدولة والبلاط والجيش والكهنة وهذه المؤامرة سميت بمؤامرة الحريم، لكن تمكن الملك من كشفها وإحالة كل من شارك فيها إلى القضاء لتتم محاسبتهم على ما فعلوه.

تتجلى إشكالية هذا البحث في التغييرات التي طرأت على آلية الفكر لدى الشعب المصري من إيمانه المطلق بالملك وبأنه الشخص الموفد من قبل الإله إلى درجة التمرد والتآمر على إنهاء حياته. ومن هذه الإشكالية تأتي أهمية هذا البحث الذي يقدم فكرة واضحة عما حدث في فترة حكم هذا الملك على مدى السنين الطويلة والذي عد من الحكام العظام الذين حكموا مصر على مدى تاريخها العريق والذي استطاع حماية حدود دولته ضد أخطار تعتبر الأشد ولمدة ليست بقصيرة على الإطلاق وأرسى دعائم الأمن والاستقرار في الداخل وكيف تحولت كل هذه الإنجازات في نهاية حكمه إلى ضعف وانهيار لقيم الدولة.

ويكمن الهدف من هذا البحث تسليط الضوء على فترة كانت مليئة بالأحداث الكبيرة التي حدثت في عهد هذا الملك العظيم الذي بنهاية حكمه انتهت فترة مجيدة من تاريخ مصر.

تم استخدام المنهج التاريخي والوصفي في منهج البحث.

أولاً: وضع مصر في أواخر حكم الأسرة التاسعة عشرة (1184–1308 ق.م)

كانت مصر أثناء حكم الأسرة التاسعة عشرة التي أسسها الملك " رمسيس الأول" (1308–1307 ق.م) على درجة من القوة جعلها تحتل مكانة كبيرة بين دول المنطقة، فاستطاع ابنه سيتي الأول " (1307–1291 ق.م) بقوته وجبروته من الصمود وورثه على العرش الملك " سيتي الأول " (وحماية عرشه في الحروب الطويلة في آسيا الغربية التي أخذت معظم سنين حكمه، ثم جاء من

ق.م) الذي ذاع صيته من خلال حربه الطويلة 1224–1290بعده الملك " رمسيس الثاني " (مع الدولة الحثية التي إنتهت بمعاهدة سلام بين الحثيين والمصريين.(باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة (حضارة وادي النيل)، ج2، بغداد، 2011، ص 80 –81).

لكن نهاية الأسرة التاسعة عشرة كانت محزنة فقد دبت في أوصالها الاضطرابات والضعف وهنا يجب الإشارة إلى الملك "مرنبتاح " (1224 – 1214 ق.م) آخر الملوك الأقوياء الذي حافظ على الأمن والاستقرار، وبعد وفاته كان هناك فترة حدث فيها الكثير من المؤامرات حول تولي العرش وتوالى عدد من الملوك على الحكم اللذين حكموا لفترات قليلة (سليم، أحمد أمين، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم (مصر، سورية، العراق، إيران، آسيا الصغرى)، بيروت، 2008، ص 85 –86). مما جعل الدولة المصرية تعاني من الضعف فوصلت في هذه الفترة الملكة " تاوسرت " زوجة الملك " سيتي الثاني " إلى الحكم بحكم الوصاية على الملك الصغير ثم وبعد وفاته استفردت بالحكم لنفسها وخلعت على نفسها ألقاب الملوك وبسطت سيطرتها ونفوذها على شؤون البلد كلها، لكن حكمها لم يدم سوى سبع سنوات بسبب الاضطرابات التي أدت إلى نهاية حكم الأسرة التاسعة عشرة وانتقال الحكم إلى أسرة جديدة هي الأسرة العشرين. (صالح، عبد العزيز، الشرق الأدنى القديم (مصر والعراق)، 1980، ص 236 – 237،. سليم، 2008، ص 85 –86. Ahmed, Mahmoud Abed al-Hameed, Studies in the Pharaonic Egyptian History, Damascus University, Press 8, 2007-2008, 205-217

ق.م):1087–1184ثانياً: بداية حكم الأسرة العشرين (

–1184اعتلى عرش الدولة المصرية قائداً عسكرياً محنكاً يدعى " ست نخت " (وسر خعو رع) (ق.م)(صالح، 1980، ص 238) الذي استطاع خلال فترة حكمه القصيرة والتي لم تتجاوز 1182 السنتين من إعادة الأمن والاستقرار والنظام إلى مصر فعد المؤسس لأسرة حاكمة جديدة من ق.م). (مرعي، ص 222. صالح ، 1980، ص 1182–1184تاريخ مصر هي الأسرة العشرين (، 2008–2007، 219). ونتيجة لكبر سنه ولضمان الحكم من بعده لأسرته قام Ahmed238.

بتعيين ابنه رمسيس الثالث شريكاً له في الحكم. (سعد الله، محمد علي، في تاريخ مصر القديمة، ج1، الإسكندرية، 2001، ص 306. سليم، 2008، ص 87). ولأن ست نخت لم يكن وريث شرعي ولم يصل للحكم وفقاً لحقه في الوراثة فقد توجب عليه أن يعتمد على الآلهة التي صورت الملك بمظهر المنقذ فكان أول ما توجب على ابنه الملك رمسيس الثالث (وسر ماعت رع – حقاً أونو) 1182– ، 2008–2007، 219). تأكيد شرعية حكمه Ahmed ق.م)(صالح، 1980، ص 238. (1151 وتتويجه كملك وكان أول ما فعله هو الحصول على الألقاب التي تضاف إلى اسم الملك الوريث للحكم وكانت خمسة ألقاب لكن الأوصاف عن طريق اسم المضمون الديني هو الذي يميز به المصريون ملك من ملك آخر، فكانوا يعرفون رمسيس الثاني باسم رمسيس يرى آمون (أي رع هو الذي أنجبه، محبوب آمون)، أما رمسيس الثالث فهم يسمونه: رمسيس حقاً إيونو (أي رع، رب هيلوبوليس، وهو الذي أنجبه). (جراندييه، بيير، رمسيس الثالث (قاهر شعوب البحر)، مصر، 2003، ص 47). كما عد المؤرخون الملك رمسيس الثالث هو المؤسس الحقيقي للأسرة العشرين والذي طال عهده واستمر حوالي 32 عاماً وهو آخر الملوك العظام أمثال الملك تحوتمس الثالث ورمسيس الثاني في عصر الدولة الحديثة.(جراندييه، 2003، ص 198).

ثالثاً: حكم الملك " رمسيس الثالث " والأوضاع السياسية:

الأخطار الخارجية:

تفقد المعابد كانت أول خطوة يجب القيام بها بعد تسلم مقاليد الحكم حيث يتم تفقد كنوزها ومخازن غلالها وقرابينها الإلهية وذلك من أجل الآباء آلهة وإلهات مصر العليا والسفلى. (جراندييه، 2003، ص 198،199). وكانت هذه الخطوة على درجة من الأهمية وذلك لأن أي تغيير فيمن يتولى العرش أو ضعف في المؤسسة الملكية كان يترتب عليه التمرد والعصيان في نطاق ممتلكات مصر الخارجية، والاختلاس والاستيلاء على أموال المؤسسات من جانب موظفيها أنفسهم والاستحواذ غير الشرعي من جانب كبار موظفي المؤسسات الأكثر نفوذاً على المؤسسات الأقل قوة ومقدرة وأيضاً يؤدي ذلك إلى تراخي وتكاسل في تنفيذ مهام الوظائف وإلى

تدهور مباني هذه المؤسسات في الإطار الداخلي.(مرعي، 2005، ص 228،229) لذلك كان يتوجب على أي ملك عند اعتلائه العرش إثبات مدى قوته وجبروته وتحكمه بزمام أمور دولته وكان هذا ما فعله رمسيس الثالث الذي أصدر القرار بتفتيش المعابد في السنة الخامسة من حكمه لكنه لم ينفذ إلا في السنة الخامسة عشر وذلك لإنشغاله بالحروب الخارجية لتأمين حدود مملكته من الغزوات الشرسة ومن بعدها التفت للأمور الداخلية. (سعد الله، 2001، ص 306).

لم تكن مهمة الملك " رمسيس الثالث " خلال فترة حكمه الطويلة سهلة على الإطلاق، فقد استلم الحكم بعد سنتين فقط من حكم والده " ست نخت " وآنذاك كانت مصر على درجة من الضعف نتيجة مشاكل داخلية حول تولي العرش بين حكام الأسرة التاسعة عشرة، والجدير بالذكر هنا أن الأربع سنوات الأولى من حكمه كانت المعلومات عنها قليلة، إلا أن نتيجتها كانت واضحة لأنه أعاد لمصر قوتها وإستطاع مواجهة أخطاراً خارجية جسيمة أتت من الغرب والشمال والشمال الشرقي مما جعلته يخوض الحروب من السنة الخامسة من حكمه حتى السنة الحادية عشرة. (باقر، 2011، ص 81. سعد الله، 2001، ص 306. مرعي، 2005، ص 223)

ومما ساعده في التصدي لهذه الأخطار الجسيمة وضع الجيش الذي كان يحتل مرتبة المؤسسة الرئيسية في مصر والذي تم تأسيسه قبل عهد الملك " رمسيس الثالث " بثلاثة قرون في عصر الأسرة الثامنة عشرة التي كانت تتبع سياسة التوسع فكان جيشاً مدرباً منظماً على أعلى مستوى، ولم يقتصر دور الجيش على التوسع خارج حدود مصر بل كان له دوراً مهماً ومميزاً في نطاق سياسة مصر الداخلية، والأهم من هذا كله أن الملك " رمسيس الثالث " كان على دراية تامة بأحوال الجيش واحتياجاته ومستلزماته لأنه كان هو ووالده من قبله من أبناء هذا الجيش. (جراندييه، 2003، ص 144). كما كان من المهام الرئيسية للملك (جراندييه، 2003، ص 142) هي الحروب التي كانت تتسم بسمتين: الأولى سمة التوسع خارج حدود مصر والثانية سمة حماية حدود الدولة من أي اعتداء خارجي، لكن حروب الملك " رمسيس الثالث " كان لها سمة خاصة وهي سمة الدفاع عن حدود دولته ضد قبائل أطلق عليها "قبائل شعوب البحر" وليس ضد دول كما في السابق. فالحروب السابقة كانت تقوم نتيجة العداء بين الدول مثل دولة مصر ودولة

ميتاني أو دولة خاتي أو غيرها من الدول، أو كانت تقوم الحروب نتيجة فتوحات توسعية بسوريا فكانت الحروب بين بلاد مابين النهرين وبين الدولة المصرية مثلاً وكان من الممكن أن تنتهي بمعاهدات أو مفاوضات. (جراندييه، 2003، ص 143).

ففي السنة الخامسة من حكم الملك " رمسيس الثالث " تعرض لخطر محدق من الليبيين الذين قدموا على شكل جيش جرار من الجهة الغربية وبالتالي فإن حماية حدود مصر الغربية كانت تحتل الأولوية بالنسبة للملك، خاصة أن الليبيين جاؤوا بهدف السيطرة على الأراضي الغنية في الدلتا والطمع في خيرات مصر، (سعد الله، 2001، ص 306. مرعي، 2005، ص 223. Aboud, Jehad, The European Invasion and the Unity of Destiny-Anatolia, The Levant and Egypt (In the Second half of the Second Millennium BC.), Damascus University Magazine, folder 36, No.4, 2020,160. فهاجموا العديد من المدن ودمروها ونشروا الذعر في قلب السكان المصريين. لكن الخطر الليبي لم يكن جديداً فقد قاموا بمهاجمة مصر في عصر الملك " مرنبتاح " من قبل واستطاع التغلب عليهم، وكان يجب على الملوك دائماً مواجهتهم وتبديد أطماعهم في الاستيلاء على مصر. (سليم، 2008، ص 88).

إن أي ضعف يحدث في السلطة نتيجة ضعف الملوك أو إنتقال الحكم من أسرة إلى أخرى كانت تعقبه تبعات داخلية وخارجية، فكان التمرد داخلياً يحدث في نطاق المعابد وإهمالها وسرقة مواردها أما خارجياً فكان يأخذ منحى آخر وهو تمرد المناطق البعيدة من الإمبراطورية بهدف الحكم الذاتي والمنحى الثاني الخارجي كان هجوم شعوب رحل شاردة همجية وعلى درجة من التخلف والإبتعاد كل البعد عن الحضارة، (جراندييه، 2003، ص 143). وهكذا كان حال القبائل الليبية اللذين كانوا دائماً في إنتظار أي فرصة يستطيعون من خلالها الهجوم على مصر والاستيلاء على خيراتها وسلب ونهب قراها من ناحية الدلتا للتخلص من ظروف معيشتهم الجدباء القاحلة. (جراندييه، 2003، ص155. Ahmed ، 2008-2007، 219). لكن في عهد الملك " رمسيس الثالث " كان هناك ثلاثة أسباب إضافية لهذه الحروب أولها هو التزايد السكاني في ليبيا حيث تضاعف عدد سكان هذه الشعوب وأصبحت موارد الصحراء المقيمين فيها شحيحة وغير كافية لهذا التضخم فكان التعويض عن هذا النقص بأسلوب معيشة يعتمد على الغزو

والقرصنة، أما ثاني الأسباب كان تعرض منطقة شرق حوض البحر الأبيض المتوسط حوالي عام 1200 ق.م لفترة من القحط والجفاف مما دفع القبائل الليبية إلى اتخاذ قرار نهائي بهجرة أرضها والبحث عن مأوى جديد وكانت مصر هي الملاذ الآمن والخيّر،(جراندييه، 2003، ص 144). والسبب الثالث والأهم والذي جعل حروب الملك " رمسيس الثالث " تأخذ فترة طويلة من سنين حكمه هو أن هذه الشعوب كانت عبارة عن قبائل متنقلة ليس لها حدود أرض معينة يمكن التوجه لإحتلالها والسيطرة عليها بل كانت تفتقر إلى أي بنية أساسية لتكوين دولة يمكن التفاوض معها، لذلك كانت هجماتها قد وصفت بهجمات الوحوش الكاسرة والكوارث الطبيعية ونتيجة لهذا الوضع المستجد توجب على ملك مصر أن يحيط مدنها بساحات حصينة منيعة وأن يستغل أي فرصة مناسبة لتلقينهم درساً قاسياً ليبعدهم عن حدود مصر. (جراندييه، 2003، ص 2007–2008، 219.). وعلى الرغم من كل هذه الهجمات الشرسة إستطاع الملك Ahmed 143. "رمسيس الثالث" من تحقيق الإنتصار على الليبيين وحماية حدود بلاده وذلك نتيجة الجيش القوي المدرب وأيضاً نتيجة مباركة الآلهة لكل خطواته.

ولم يكد الملك " رمسيس الثالث " ينتهي من حربه الضروس مع القبائل الليبية والاحتفال بنصره الكبير حتى جاءت السنة الثامنة من حكمه حيث واجهت فيها مصر تهديداً خطيراً من شعوب يطلق عليها اسم " شعوب البحر " وفي النصوص المصرية اسمها " الشماليون الذين في جزرهم ، 2007–2008، 220–219.). وهذه الشعوب هي عبارة عن Ahmed" (سليم، 2008، ص 89. كيان بشري ضخم يعتمد على الهجرة والترحال يمتلك عتاد بحري فائق التطور وله نمط غريب وغير مألوف في الحياة فهو يعتمد على غزو المدن من عرض البحر والقرصنة التي كانت بالنسبة لهم عمل مثار للفخر (جراندييه ، 2003، ص 165،166). فبدأت شعوب البحر هجومها البري بدءاً من جزر بحر إيجة فقامت بتدمير المملكة الحثية في آسيا الصغرى نزولاً باتجاه الساحل السوري حيث قضت على عدة مدن منها كركميش، ألالاخ، أوجاريت ومنها ناحية الجنوب حتى وصلت إلى دلتا النيل من الشرق وذلك كله بالتزامن مع جماعة ثانية من شعوب

البحر جاءت من الشمال إلى مصب فرع النيل الشرقي من البحر المتوسط بسفنها الحربية وقد ، 2020، 161-162).Aboud(مرعي، 2005، ص224،223. صالح، 1980، ص240،239. كانت الواجهة الشرقية كلها للجناح الشمالي للصرح الثاني بمعبد مدينة هابو كتابة تحدث فيها الملك "رعمسيس الثالث" أحداث الغزو الشمالي لسوريا:

" العام الثامن من عهد جلالة حورس (رمسيس الثالث) تآمرت البلاد الأجنبية في جزرها، ومرة واحدة انقسمت الأراضي وتبعثرت الأقطار بالمعارك، ولم تكن هناك أرض يمكنها أن تقف أمام أسلحتهم، من خاتي (ختا) وقودي (قدى) وقرقميش (ق-را-قا-م-شا) وأرزاوا (برث فينيقيا) ، 2007-2008، ص270. الحويلي، Ahmed *وآلاشيا (برس-قبرص)، سُحقوا في وقت واحد."* (2015، ص 195)

" وقد (نصبوا) معسكرات في مكان واحد في أمورو (أ-م-را)، فأهلكوا أهلها، وأصبحت أرضها كأنها لم تكن ..... وأتوا نحو مصر، ولكن اللهب كان مجهزاً أمامهم، وقد كان حلفهم من أقوام بلست (بو-را-سا-ت) وثكر (ثا-ك-كا-را) وشكلش (شا-ك-رو-شا) ودانون (دا-ى-ن-يو) ، Ahmed *ووشش (وا-شا-شا)، حتى امتداد الأرض، وقلوبهم واثقة إن خططنا ستنجح ...".* (2007-2008، ص270. الحويلي، 2015، ص 195)

" أولئك الذين وصلوا حدودي، بذورهم كأنها لم تكن، قلوبهم وأرواحهم انتهت إلى أبد الآبدين، أما بالنسبة إلى أولئك الذين تجمعوا أمامهم في البحر، فقد كانت النار المستعرة في انتظارهم أمام مدخل الميناء، لقد جُروا وكُبوا على وجوههم، وطُرحوا أرضاً على الشاطئ، وقُتلوا وجُعلوا أكواماً من مقدم إلى مؤخر سفنهم، في حين كل أشيائهم متناثرة على الماء، لم أسمح للبلاد الأجنبية بأن يروا حدود مصر". (الحويلي، 2015، ص 195)

بعد ثلاث سنينن من مواجهة الملك " رمسيس الثالث " لشعوب البحر وبالتحديد في العام الحادي عشر من حكمه تعرض لهجوم ثاني من القبائل الليبية التي لم تتقبل الهزيمة المنكرة التي

تعرضوا لها في العام الخامس من حكم الملك فكانت هذه الحملة هي للانتقام والهجرة والاستيطان في الدلتا، وكانوا قد اتحدوا تحت إمرة أميرهم " مششر " ابن ملك المشواشين "كبر".(سعد الله، 2008–2007، ص 222). لكن في حقيقة الأمر أن هذا الهجوم لم Ahmed2001، ص 307. يكن بقوة الهجوم الأول فقد كان أقل ضخامة من حيث العدد وقد استمرت هذه الحملة لمدة ستة أشهر، (جرانديبه، 2003، ص168. 2008–2007، ص 222). إستبسل خلالها الجيش Ahmed المدرب والذي أثبت كفاءته في الدفاع عن حدود بلده وانتهت الحرب بالانتصار والقضاء بشكل نهائي على المشوش المعتدين والغنائم كانت بأرقام كبيرة من الرجال والنساء والأطفال والعربات والعتاد والماشية، ولكن الغنيمة الأكبر كانت القضاء على الزعيم " مششر " رأس الحربة (سليم، 2008–2007، ص 222). وكانت أخبار النصر الكبير قد وصلت Ahmed2008، ص 88. مصر ورجال الكهنة كانوا في انتظاره في طيبة وكما هي عادة الملوك كانت تمثل أمام الإله آمون لأخذ مباركته وشكره على نجاحه في مهمته وتقديراً له قدم الأسرى كهبة من أجل خدمة أملاك هذا الإله. (جرانديبه، 2003، ص 194).

ومن شدة فرح المصريين بهذا الانتصار وبملكهم العظيم المبارك من الآلهة فقد اعتبروه حدثاً سنوياً يحتفلون به وسموه "عيد قتل المشوش"، (سليم، 2008، ص 88). ومن ناحية أخرى مكملة للانتصار هي تمكن الملك من كسر شوكتهم لدرجة أنه لم يعد هناك من داعي للخوف من هجوم آخر من جهة الغرب. (سعد الله، 2001، ص 307). بالمقابل فإن الليبيين لم يحاولوا التفكير بهجوم مسلح لكنهم لم يتخلوا عن حلمهم في الاستيطان في منطقة غنية وخيراتها كثيرة لذلك اتخذوا طريقاً آخر فبدأوا بالهجرة السلمية والتغلغل بين الشعب المصري حتى كونوا بمرور الوقت كتلة كبيرة استطاعت أن تفرض نفسها على الساحة المصرية. (سليم، 2008، ص 89).

بتصدي الملك " رمسيس الثالث " للأخطار الخارجية وانتصاراته تمتعت مصر بسلام كانت بحاجة له بعد فترة الإضطرابات التي مرت بها نهاية الأسرة التاسعة عشرة وبداية الأسرة العشرين لسلالة لم يكن حكامها وريثين شرعيين للحكم وحروب كانت لها نصيب كبير من الشراسة، فاعتبر رمسيس الثالث آخر ملوك الدولة الحديثة العظام فهو الملك الذي أمّن حدود مصر ولم

يعد هناك من يستطيع تهديد مصر. فعادت عناصر الأمن والنظام بكافة أنحاء مصر وذلك بفضل الجيش الذي إستبسل في الذود عن حدود بلاده فنعم براحة جدير بها، حتى الجنود المرتزقة وعلى الرغم من أنهم كانوا يعيشون في مستعمرات كانت قد أعدت لأجلهم كانوا أيضاً يعيشون مع أسرهم بسلام. (جراندييه، 2003، ص 197. سعد الله، 2001، ص 307).

الوضع الداخلي في مصر في فترة حكم الملك رمسيس الثالث:

بعد أن نعمت مصر بالأمن والاستقرار أصبح بإمكان الملك " رمسيس الثالث " أن يلتفت إلى الأمور الداخلية المؤجلة من بداية حكمه والذي أصدر قراراته بشأنها في العام الخامس من حكمه لكن لم يكن يمتلك الوقت لتنفيذها بسبب الحروب المقدسة التي كان يتوجب عليه خوضها، لكنه وفي العام الخامس عشر بدأ فعلياً بتنفيذها واتخذ الخطوات اللازمة من أجل بناء كيان دولة قوي اتبع فيه خطى الملوك العظام من قبله. (جراندييه، 2003، ص 198). فكان أول ما بدأ به هو إعادة تنظيم الكيان الإداري على أسس تهدف إلى تثبيت سلطته وسيادته بتكوين كيان اجتماعي يدين له بالولاء ويعتبر قاعدة سياسية صلبة، فاعتمد على أصحاب الخبرة إدارياً والذين لا يشك بولائهم المطلق له، وإضافة إلى ذلك توكيل بعض الشباب المميزين بوظائف هامة وعلى قدر كبير من المسؤولية. (جراندييه، 2003، ص 64،65).

كما كانت هناك خطوة على درجة كبيرة من الأهمية كان يتبعها كل الملوك من قبله ألا وهي القيام بزيارة تفتيشية شاملة لكافة المؤسسات الدينية التي تتضمن تفقد كنوزها، مخازن غلالها، قرابينها الإلهية، إصلاحها، ترميم المهدم منها، مراجعة الحسابات، أحوال أثاثها، أدواتها الشعائرية والأهم هو سن قوانين جديدة بهدف حمايتها من إستغلال بعض المؤسسات الأخرى وكذلك لحماية العاملين بها وقطعانها. (جراندييه، 2003، ص 199). فصدر أمر الملك " رمسيس الثالث " بتحديد المناطق التي يتوجب على المختصين التوجه إليها للقيام بعملية التفتيش وكانت في الحقيقة تضم مصر كلها من المناطق الشمالية إلى الجنوبية منها ومن منف إلى إلفنتين تحت إدارة رئيس قسم المحفوظات بالخزانة الملكية وكان يدعى " بن بان ". وذلك لما

لهذه الوظيفة من أهمية كبيرة لأن مكتب المحفوظات كان يتبع الخزانة الملكية وكانت تحفظ فيه الأصول الخاصة بكافة المراسيم المتعلقة بإنشاء جميع مؤسسات مصر، والأصول المتعلقة بالهبات التي تلقتها، والقواعد القانونية التي تحدد أرباحها وقطعانها وممتلكاتها العقارية وما تملكه من عبيد. ولم يقتصر الأمر على ذلك فحسب بل كانت بعض النسخ وعلى حسب أهميتها يتم نقشها على لوحات ذهبية أو فضية أو نحاسية توضع ضمن ناووس الإله الحامي لمختلف تلك المؤسسات، ولكي تملك الشرعية وأحقية التنفيذ كان واجب نشرها على الملأ حيث يتم نقشها على لوحات حجرية أو على جدران المعابد مرفقة بالعقوبات على من ينتهك هذه القوانين. (جراندييه، 2003، ص 199،200).

ولم يكتف الملك " رمسيس الثالث " بالمعابد الموجودة وتأهيلها بل وانطلاقاً من فكرة أن الملك وحكمه وحكمته وقدرته على اتخاذ القرارات التي تصب في مصلحة الشعب هذا كله مستمد من الآلهة ورضاها فقد اتسمت سنين حكمه الطويلة بشغفه بتشييد معابد جديدة خاصة بعد إعادة الأمن والاستقرار لمصر وذلك نتيجة انتصاراته بكل الحروب الشرسة التي خاضها وما نتج عنها من تدفق لثروات هائلة وغنى كان النصيب الأكبر منها للفرعون وحاشيته وكبار رجال الجيش وخاصة كبار رجال الدين الذين أصبحوا يشكلون من قوتهم وغناهم والإمتيازات التي حصلوا ، 2008–2007، 223). فكان هناك Ahmedعليها دولة ضمن دولة، (صالح، 1980، ص 242. معبدان أحدهما ضخم كبير " معبد حابو " (سليم، 2008، ص 88. يوجد اختلاف بالمراجع بين "حابو" و"هابو"). في غرب طيبة خصص للإله آمون وإقامة شعائره وتقديراً لأهميته نقشت على جدرانه الخارجية كل مشاهد المعارك الخارجية التي قام بها الملك بتفاصيل ممتعة وعلى درجة عالية من الإتقان. (مرعي، 2005، ص 227). والآخر معبد صغير في رحاب الكرنك بشرق طيبة كان مخصصاً لاحتفالات الملك باليوبيل ووصل المعبدان إلى درجة الكمال من حيث العناصر المعمارية واللوحات المنقوشة. (صالح، 1980، ص 242. مرعي، 2005، ص 227). ولطالما احتفظت مدينة طيبة بمكانتها المميزة من بداية حكم ملوك مصر والذين أظهروا كلهم بدون استثناء الإيمان والقدسية تجاه إله هذه المدينة " آمون " حتى أصبح المركز الرئيسي ذو القوة الاقتصادية الضخمة وصاحب اليد العليا على كافة الفروع سواء داخل مصر أو حتى خارجها،

كما قدم الملوك كل شيء لنيل الرضا والمباركة الذي لم يقف عند ترميم المعابد القائمة أو بناء الجديد منها وإقامة التماثيل والنصب بل إلى أكثر من ذلك فقد اهتموا بتطويرها ومضاعفة الخيرات والمنتجات المقدمة من ست وخمسين مدينة من مدن مصر وحتى من بر رمسيس نفسها، ولم يكن " النبي الأول لآمون " والذي يحمل لقب " مدير جميع كهنة آلهة طيبة " هو رئيس معبد الكرنك فقط بل كان أيضاً " المدير الإسمي لكافة معابد طيبة " ومديراً على كافة معابد مصر التي تمارس في نطاقها شعائر آمون وأيضاً على المراكز التي أقام فيها الملك "رمسيس الثالث" تماثيله حتى في القرى البعيدة، بذلك أصبح النبي الأول لآمون بمرور الوقت ، Ahmedعلى درجة من القوة تضاهي قوة الملك نفسه. (جراندييه، 2003، ص 207-206. 2008-2007، 223).

وكدليل على اهمية عمليات التفقد والتفتيش لكل معابد مصر التي يوليها الملوك هناك وثيقة تدعى " بردية هاريس – 1 " جاء فيها تفاصيل البرنامج الضخم الذي قام به الملك " رمسيس الثالث " لإعادة تأهيل هذه المعابد حيث جاء في حديثه الموجه لآلهة مصر:

" لقد قمت بتنظيم ممتلكاتكم، وفقاً لما أصدرته من مراسيم حفظت بمختلف مكاتب المحفوظات وهي تتعلق بالعاملين بها، وبأراضيها وقطعانها ومراكبها. [...]. ولقد أعدت بناء وترميم معابدكم التي كانت قد أصبحت أطلالاً منذ أمد بعيد. وكرست من أجلكم العديد من القرابين بالإضافة إلى ما هو مكرس من قبل، لكي توضع أمامكم. وأمرت بصنع حلى لتماثيلكم بورش صناعة المصوغات، من الذهب الخالص، والفضة واللازورد والفيروز. وأصدرت أوامري بإجراء حصر لما هو موجود في خزائنكم، وأثريتها بالنفائس التي لا تحصى ولا تعد. وملأت مخازن غلالكم بالشعير والقمح بكميات وفيرة. وشيدت من أجلكم الكثير من النصب والمعابد، التي تحمل أسماءكم إلى الأبد، ونظمت أحوال جموع العبيد الذين يعملون في معابدكم. فأضفت إليهم أعداداً أخرى. ولم أحاول الاستحواذ على أي من العاملين بمعابد أي إله. وبالرغم من كل ذلك، كان بعض ملوك العصور الغابرة يفعلون ذلك، من أجل اتخاذهم كجنود أو سائقي مركبات لجيوشهم. ولقد أصدرت مراسيم، من أجل تنظيمهم، وحتى يستفيد بها من يخلفني من الملوك. ولقد أحضرت أمامكم، ومن أجلكم، أنماطاً من القرابين تتكون من كافة أنواع الخيرات الطيبة.

وأقمت من أجلكم الكثير من المصانع الصغيرة [لإعداد القرابين]، الخاصة بالشعائر اليومية، وملأتها بمختلف أنواع الأغذية والمأكولات. وأمرت بصناعة أدوات لموائد قرابينكم، من الذهب، والفضة، والنحاس [...]. وعملت على بناء وتجهيز مراكبكم النيلية ". (جراندييه، 2003، ص 203).

هذا البرنامج ظل لفترة طويلة معتمد من قبل الملوك الذين جاؤوا من بعد الملك " رمسيس الثالث " وذلك لكمال خطواته. كما كانت هناك خطوة أخرى لتأكيد قوة وزعامة الملوك على كل أنحاء مصر والتي اتبعها الملك " رمسيس الثالث " بدوره وهي إقامته في القصر الفسيح الذي تم بناؤه في عهد الأسرة التاسعة عشرة الذي إعتاد الملوك الإقامة فيه فور تسلمهم الحكم الواقع بمدينة "قنطير" شمال أواريس، هذا القصر المترامي الأطراف بلغت مساحته حوالي خمسة وثلاثين هكتاراً وكان يحتوي على معبد "عشتارت"، أحياء سكنية، حمامات، قاعات للاحتفالات، مكاتب، مصنعاً للأسلحة، مستودعات لتخزين العربات الحربية وحديقة لبعض الحيوانات النادرة، كما كان هذا القصر محاطاً ببيوت كبار رجال الحكم وبثكنات للكتيبة العسكرية المنحدرة من أصول أجنبية، هذا القصر كان أشبه بمدينة كاملة متكاملة لا ينقصها شيء. (جراندييه، 2003، ص 62).

لكن وعلى الرغم من بدء سنين حكمه في هذا القصر إلا أن الملك رغب بأن يكون له قصره الخاص به فأمر بتشييد قصرين (صالح، 1980، ص 242. Ahmed ، 2008–2007، 223). الأول أطلق عليه " دار رمسيس–حقاً أيونو، المفعم بالنصر" الذي لم يكن يقل عن القصر الفسيح حيث كان أشبه بمدينة صغيرة فيها كل ما يحتاجه الملك من أجل القيام بأعباء الحكم من إدارة شؤون البلاد وإصدار مراسمه وانطلاق مبعوثيه في مختلف المهام كما حوى على معبد حمل اسم الملك " معبد رمسيس الثالث" من أجل آمون أحضر إليه أفخر المقتنيات ووهب المدينة لأملاك آمون طيبة وكان هذا القصر على درجة من الجمال أشبه بمنتزه حيث الحدائق والأشجار الباسقة، هذا جعل الملك بحاجة إلى عدد كبير سواء من أسرى الحرب أو من المصريين لخدمته حتى قدر العدد بالآلاف.(جراندييه، 2003، ص 62،63). أما القصر الثاني كان يقع جنوب عاصمته

بسبعين كيلومتر قريباً من الأراضي الصحراوية بمكان عرف باسم "تل اليهودية" أطلق عليه " بيت النزهة"، لم يكن كبيراً مثل القصر الأول بل كان أصغر احتوى على معبد كان يلجأ إليه الملك ليرتاح من أعباء الحكم. (جراندييه، 2003، ص 63). كما أمر بأن يكون له قصراً خاصاً رسمياً في كل من مدن مصر الرئيسية وهذه عادة درج عليها كل الملوك الذين سبقوا الملك " رمسيس الثالث" والذي كان حريصاً بدرجة كبيرة أن يتبعها نتيجة عدم شرعية تسلمه للحكم.

ومن الخطوات التي درج الملوك على إتباعها أيضاً من أجل تأكيد سلطتهم وتقوية حكمهم والتي مشى عليها بدوره الملك
" رمسيس الثالث " تشييد التماثيل التي تمثلهم بجانب الإله المحلي سواء بالمدن والأقاليم وحتى القرى الصغيرة وإقامة الشعائر من أجلها، لما لهذه الخطوة من أهمية وأكبر دليل على ذلك أن الملك " ست نخت " وعلى الرغم من فترة حكمه القصيرة التي لم تتجاوز السنتين كان قد أمر بإقامة نصب وتماثيل له في منطقة مصر الوسطى. (جراندييه، 2003، ص 63). أما بالنسبة لعدد تماثيل ابنه فقد تجاوزت 2756 تمثالاً على مدى فترة حكمه الطويلة والتي كان قد خصص لها مقداراً لايقل عن ثلاثة أطنان من الذهب والفضة والأحجار الكريمة وهذا إن دلّ على شيء فهو يدل على قوة وغنى الدولة ونفوذ الملك على كل أرجاء مملكته، وكان نتيجة لكل هذا ومع مرور الوقت أن تحولت هذه التماثيل إلى آلهة فعلية تعبد وتقام لها الشعائر لفترة طويلة حتى بعد موت صاحبها. (جراندييه، 2003، ص 67). كما كانت هناك خطوة لا تقل بأهميتها عن غيرها من الخطوات التي إتبعها الملوك في تأكيد قوة نفوذهم وسيطرتهم على كل أنحاء البلاد بما فيها أقصى أنحاء مصر على مسافة خمسمائة كيلومتر جنوباً حيث تقع منطقة "النوبة" التي يسكنها قبائل متعددة والتي لم تكن توفر أي فرصة سواء تغيير أو ضعف في السلطة إلا وتمردت وأعلنت عصيانها.(جراندييه، 2003، ص 68).

ومع أن هذه التمردات لم تكن لتؤثر على السيادة المصرية التي كانت محمية بجيش مجهز ومدرب على مستوى عالي جداً بالإضافة إلى الحصون والقلاع المنيعة(جراندييه، 2003، ص 69). إلا أن الملك " رمسيس الثالث " أمر ببناء قصرين يحملان إسمه وقام بحملة سريعة لتلك

المنطقة لا نستطيع تسميتها بحرب إلا أنه كان الهدف من هذا كله إستعراض قوته ومدى إتساع حدود مملكته وغنى دولته وإحضار عدد كبير من العبيد بأرخص الأسعار واستثمار مناجم الذهب الموجودة فيها، (جراندييه، 2003، ص 69). هذه الحملة الخاطفة التي إعتاد الملوك الأقوياء على القيام بها إلى النوبة كان لها هدف آخر غير إستعراض القوة وهو مشاركة الأمراء الصغار ورثة العرش وذلك لتدريبهم على فنون القتال ليكونوا جاهزين لتولي الحكم والقيام بالحروب المقدسة الواجبة على كل ملك من أجل الدفاع عن حدود بلاده والحفاظ عليها من أي اعتداء. (جراندييه، 2003، ص 50).

وحتى تكون الدولة على درجة كبيرة من القوة والهيمنة كان يجب أن تتمتع بالإضافة إلى كيان إداري محنك إلى اقتصاد قوي مزدهر والذي كان يجب أن يكون تابعاً بشكل مباشر للسلطة الحاكمة، (جراندييه، 2003، ص 198). وكدليل على قوة الحكم لم يكن معروفاً في تلك الأيام ما يسمى " مبدأ التجارة الحرة " بين الدول لذلك كان يتوجب على الملوك تجهيز وإرسال الحملات للحصول على المنتجات التي لم تكن متوفرة أو موجودة بشكل ضئيل في مصر والتي كانت ضرورية للشعب المصري لإقامة الشعائر والطقوس والحرف اليدوية والأعمال العمرانية مثل أخشاب الأرز من لبنان، والنحاس والفيروز من آسيا وسيناء، والمر والصبر من بلاد البونت التي تقع على سواحل البحر الأحمر حيث تفصلها مسافات بعيدة عن مصر باتجاه الجنوب. وكان الملوك الأقوياء من شغفهم في الحصول على البضائع المستوردة بالمعنى الحالي ونتيجة استقرار أمور بلادهم الداخلية والخارجية كانوا يقومون بالاستعراض من خلال الحملات الكبيرة إلى بلاد البونت وهذه حال الحملات التي قام بها الملك " رمسيس الثالث " والتي قامت بها من قبله الملكة " حتشبسوت " في عصر الأسرة الثامنة عشرة وأمرت بنقش كل تفاصيل حملتها لما اتصفت به من مظاهر العظمة على جدران معبدها الجنائزي بالدير البحري، (جراندييه، 2003، ص 283). ولم يكتف الملك بما قام به من حملات خلال سنوات حكمه الطويلة بل قام أيضاً في السنة العشرين بإرسال حملة إلى منطقة " تيمناع " ضد بدو " بلاد سعير " (إدم) جانب خليج (جراندييه، 2003، ص 143،142). العقبة في جنوب النقب للحصول على النحاس.

3- التغيير الذي طرأ على مكانة الملك:

لقد عرف منذ بداية عصور الدولة المصرية وعلى مدى تاريخها الطويل أن الملك هو أداة من صنع الآلهة وقدمت نصوص وآثار مصر القديمة صورة نموذجية عن الملك:

" إنه الملك المطلق النفوذ، الذي يعلو فوق مرتبة البشر، سليل وخليفة رب الأرباب خالق الكون كله... فهل كان البشر،
بعد كل ذلك، يستطيعون مناقشة أوامره أو الجدال فيها؟... إنهم جميعاً، كبار القوم أو صغارهم، يشعرون إزاءه بالرهبة المشوبة بالورع والتبجيل، ويهرعون إلى تلقي نصائحه، ويستمعون إلى عباراته وقد خروا ساجدين أمامه. ولا ينطقون إلا بذكر روعته وكمال قراراته. وهم بذلك، يعلمون علم اليقين أن ولاءهم الفائق وطاعتهم المطلقة له هي السبيل الوحيد لضمان نجاحهم الاجتماعي وتوفيقهم." (جراندييه، 2003، ص 293).

وحتى ضمن ترتيب طبقات المجتمع المصري كان الملك وأفراد أسرته يعدون خارج التصنيف ومكانتهم المرموقة فوق طبقات المجتمع جميعها، والتي تتألف من ثلاث طبقات: الطبقة العليا والطبقة الوسطى وطبقة العبيد، فكان النبلاء والأشراف وكبار الموظفين والكهنة الذين يتحكمون بمقاليد الأمور والثروة هم أفراد الطبقة العليا، والعمال والصناع الأحرار والفلاحون الأحرار يشكلون أفراد الطبقة الوسطى، والطبقة الثالثة كان مصدرها الرئيسي الحروب الخارجية والتي جاء الملك " رمسيس الثالث " على ذكر رقم (113000) عبد كان قد قدمهم كهدايا إلى المعابد المهمة في مصر خلال فترة حكمه الطويلة بالإضافة إلى عدد كبير من الطبقات الدنيا من المصريين أنفسهم الذين فرض عليهم الملك العمل القسري في مشاريعه الكثيرة.(باقر، 2011، ص 193).

لكنه حصل شيء جديد على هذه الصورة النمطية للملك على مر الوقت وخاصة بعد حركة التوحيد التي شهدتها مصر خلال عصر الأسرة الثامنة عشرة أو كما أطلق عليه " عصر

العمارنة " أن شهدت الدولة الحديثة التي سميت " عصر الرعامسة " وذلك كون الملك هو أداة من صنع إله أعلى أحد مطلق القوى وأنه قادر على إحراز النصر في كل أعماله التي يقوم بها بدون أي جهد وكان سلاحه إرادته وقواه الجسدية فقط، وأكبر دليل على ذلك عندما توجه الملك " رمسيس الثالث " بالدعاء لآمون بهذه العبارة: *" إنه لمحظوظ هذا الذي ينعم بعنايتك الإلهية "* ، ولم يكتف بهذا فقط بل استعان بعبارات قريبة إلى درجة كبيرة من التصوف وكل ذلك من أجل تبجيل هذا الإله. (جراندييه، 2003، ص 55). فكان عصر الدولة الحديثة هو ترسيخ لمفهوم " الدولة الثيوقراطية " أي "حكومة إلهية يشرف عليها رجال الدين ". وأطلق على " أمون رع " لقب " ملك الآلهة" وأنه اختار الملك شخصياً من أجل تولي الحكم من بين ملايين البشر وذلك بفضل مزاياه وصفاته التي تؤهله ليكون المحارب والمجاهد من أجله والمؤتمن على عهده فوق الأرض.(جراندييه، 2003، ص 56).

لكن مصادر تاريخية أخرى قدمت صورة مغايرة تماماً لهذه الصورة المعروفة عن الملك بدءاً من ملوك الأسرة الثامنة عشرة حيث تم تصويرهم بأحجامهم الطبيعية، أشخاص عاجزين وحكام مستبدين، (جراندييه، 2003، ص 293). وخير دليل على هذا التغيير الإضطرابات التي حصلت في أواخر سنين حكم الملك " رمسيس الثالث " قبيل الاحتفال باليوبيل الملكي أو " عيد السد ".

رابعاً: الإضطرابات أواخر حكم الملك " رمسيس الثالث "

لم تكن السنين الأخيرة من حكم الملك " رمسيس الثالث " وقبيل الاحتفال باليوبيل الملكي على درجة القوة التي كانت في بداية حكمه، فقد حملت معها أمور جسيمة وصلت لدرجة تهديد حياة الملك نفسها. (سعد الله، 2001، ص 308). هذا العيد الذي يطلق عليه أيضاً " العيد الثلاثيني " أو "عيد السد " كان على درجة كبيرة من الأهمية حيث الشعب ينتظره بشغف لأن الاحتفال به يقتصر على الملوك الذين حكموا لفترة طويلة فكان يتم في العام الثلاثين من حكم الملك في مدينة " منف " حيث الملك يحصل من خلاله على تتويج جديد مهيب كما في بداية عهده في حضور جميع آلهة مصر الرئيسية(جراندييه، 2003، ص 294). ولأهمية هذه الخطوة كان الملك

يستقبل بنفسه المراكب التي تنقل تماثيل هذه الآلهة من كافة أنحاء مصر في مدينته " بر رمسيس" أو " بيت رمسيس" وذلك لتأكيد سلطته بعد مرور وقت طويل على حكمه، (جراندييه، 2003، ص 61،62). كما هناك إعتقاد ومن خلال إقامة الطقوس والشعائر التي تحمل فكرة الموت والبعث من جديد أن الملك حتى ولو أصبح متقدم في العمر يستطيع استعادة شبابه وحيويته. (جراندييه، 2003، ص 294).

هذا الضعف الذي حصل في أواخر سنين حكم الملك " رمسيس الثالث " يعود لأسباب اقتصادية منها داخلي ومنها خارجي، فالخارجي كان بسبب نهاية عصر البرونز وابتداء عصر الحديد الذي توجب على مصر الحصول عليه من دول أخرى من دول المنطقة لأنه لم يكن متوفراً في أرضها وهذا بدوره أرهق خزينة الدولة، (سعد الله، 2001، ص 308). أما الداخلي فكان يعود إلى المنح الضخمة والهدايا والامتيازات التي منحها الملك " رمسيس الثالث" للمعابد كافة في جميع أنحاء مصر وبخاصة معابد الإله آمون والذي أصبحت كهنته خاصة على درجة كبيرة جداً من القوة، (مرعي، 2005، ص 227. سعد الله، 2001، ص 308). كما نتج عن إشادة المشاريع العمرانية الكبيرة من قصور ومعابد والتي كانت على درجة من العظمة والأبهة وصرفه عليها ببذخ مبالغ فيه حصول أزمة اقتصادية حادة وصلت إلى درجة فقدان المواد الغذائية. (سليم ، 2008، ص 88. مرعي، 2005، ص 227 . سعد الله، 2001، ص 308). بالإضافة إلى إعتقاد الملوك بأن الأمان والرخاء والمناصب العالية ممكن أن تلعب دوراً مهماً في كسب وفاء وإخلاص الأجانب الذين وفدوا إلى مصر من الآريين والمسالمين من شعوب البحر وذلك منذ أواسط عصر الأسرة الثامنة عشرة وسُمح لهم أن يكونوا أفراداً ضمن الجيش المصري وسار على هذا النحو ملوك الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين حيث قلدهم الملك " رمسيس الثالث " مناصب قيادية في الجيش وجلسوا جنباً إلى جنب القادة المصريين وحصلوا على ثقة الملك لدرجة إعلانه قراراته أمامهم، (صالح، 1980، ص 242). ولم يتوقف الأمر على دخول الأجانب ضمن الجيش فقط بل تعدى ذلك إلى تواجدهم داخل البلاط الملكي والقضاء وتسلموا وظائف مهمة وأصبحوا من أصحاب القرار، كما كان لهم تواجد كبير كعبيد للخدمة في المعابد والتي كان يتباهى الملك " رمسيس الثالث " بأعدادهم الكبيرة التي حصل عليها من أسرى الحروب المقدسة التي قام بها وتقديمهم كهدايا

للكهنة حيث عملوا في المزارع والمحاجر والمناجم وفي شؤون العبادة، وبالنسبة إلى النساء الأجنبيات فكان تواجدهم على شكل زوجات أجنبيات أو جواري في القصور الملكية وقصور الأغنياء أيضاً فكان هذا مجال للتباهي بعدد الجواري والخدم. (صالح، 1980، ص 242،243). هذا التغلغل الكبير للأجانب في مجالات مصر الحيوية لم يكن بيوم من الأيام مأمون الجانب فطالما اليد العليا قوية تسير الأمور بخير لكن في حالات الضعف أو تزعزع صغير في القوة لن يكون هناك وارع يمنع الأجانب المتمصرين من الخارج من التمرد وإعلان العصيان ونكران الجميل ونسيان ما قدمت مصر لهم من حياة كريمة مستقرة لهم ولأولادهم. (صالح، 1980، ص 243).

إضراب دير المدينة:

كان نتيجة التدهور الاقتصادي في أواخر سنين حكم الملك " رمسيس الثالث " وتحديداً في أواخر السنة التاسعة والعشرين قبيل الاحتفال باليوبيل الملكي حدوث أمر غير عادي وأول مرة يُسمع به عبر التاريخ وهو إضراب عمال الجبانة الملكية في دير المدينة عن العمل وذلك لعدم صرف الحكومة مستحقاتهم وأجورهم المتأخرة لمدة شهرين وعدم تمكنهم من الحصول على المواد الغذائية نتيجة ارتفاع أسعار الحبوب والتحضيرات الضخمة للحدث الضخم الذي يرهق الخزينة وانشغال الحكومة بتأمين ما يلزم بالإضافة إلى سوء الإدارة في الدير ولم يفضّوا الإضراب حتى أرادوه. (سعد الله، 2001، ص 308. مرعي، 2005، ص 227. سليم، 2008، ص 88. تم لهم ما جراندييه، 2003، ص 299).

هذا الإضراب كان الأول من نوعه لكن لم يكن الأخير فقد قام العمال بعدة إضرابات كلما تأخرت الحكومة في صرف مرتباتهم وكانت بعض الإضرابات تستمر لعدة أيام حتى يحصلوا على مستحقاتهم وفي إحدى المرات اضطر حاكم طيبة للحضور بنفسه للتفاهم معهم.(سعد الله، 2001، ص309). حيث نقل هذه المعاناة إلى الوزير الذي بدوره أبدى اهتمامه وأشرف على إصلاح أمور العمال بحيث يحصلون على أجورهم بوقتها وبدون أي تأخير ومن بعد هذا الإجراء

لم يعد هناك إضرابات وخير دليل على ذلك أن عمال دير المدينة شوهدوا في يوم الاحتفال باليوبيل الملكي بجوار الرمسيوم ينتظرون نصيبهم من خبز القرابين الذي يحق لهم الحصول عليه كهبة من الملك بمناسبة العيد. (جراندييه، 2003، ص 305،306). هذا الضيق الذي مرت به الدولة المصرية في أواخر عهد الملك ونتيجة كل الأسباب التي ذكرت من قبل إلا أنه كان للمعابد الكبيرة دور آخر وعلى درجة من الأهمية وذلك لأنه كان يتوجب على هذه المعابد المشاركة في مشروعات الدولة وأن تدفع نصيبها للخزينة، لكن هذا لم يحدث إلا بنسب بسيطة نتيجة نفوذ الكهنة وعلاقاتهم القوية بإدارات الدولة ومرافقها فحافظت بذلك على قوتها وغناها وزاد من غناها هبات الملك اللامحدودة. (جراندييه، 2003، ص 244). أما بالنسبة للمعابد الصغيرة فكان حالها شيء آخر حيث لم يصلها نصيبها مثل نصيب المعابد الكبيرة وكان ربع أوقافها يذهب لأيدي الموظفين أما العاملين فكان ينقصهم كل شيء لدرجة أنه لم يعد بالإمكان صرف مرتباتهم ومخصصاتهم من الطعام وهذا ما أدى إلى حصول الإضرابات. (جراندييه، 2003، ص 245).

مؤامرة الحريم:

لم تقتصر أواخر سنين حكم الملك " رمسيس الثالث " على الإضرابات فقط بل كان هناك ماهو أخطر فقد تعرض الملك إلى مؤامرة كبيرة عرفت باسم " مؤامرة الحريم " أو " مؤامرة النساء "(مرعي، 2005، ص 228. عدد من المؤرخين يقول "مؤامرة الحريم " وعدد آخر يقول " مؤامرة النساء"). كادت أن تودي بحياته وبإقصاء وريث العرش الشرعي الملك " رمسيس الرابع " عن الحكم لولا أنه تم الكشف عنها في الوقت المناسب. (سليم، 2008، ص89. سعد الله، 2001، ص 309. جراندييه، 2003، ص 294. صالح، 1980، ص 243).

هذه المؤامرة كانت من تخطيط إحدى زوجات الملك الثانويات تدعى الملكة " تي " وهي من النساء الأجنبيات اللواتي سُمح لهن بالتواجد في القصر الملكي بشكل كبير(صالح، 1980، ص 244). وأرادت من وراء ذلك قلب نظام الحكم وأن يعتلي ابنها " بنتاؤور " أو "بينتاورت "

Ahmed(جراندييه، 2003، ص 307. عدد من المؤرخين يقول "بنتاورت " وعدد آخر يقول " بنتاؤور ". ، 2008–2007، 224) العرش. والحقيقة أن هذه الملكة إمتلكت من الذكاء والدهاء حيث خططت بشكل بارع لتحقيق هدفها لدرجة أن كل الشخصيات الذين إستطاعت إقناعهم وضمهم إلى المؤامرة كانوا يحتلون مراكز مرموقة وحساسة في دائرة صنع القرار سواء في البلاط الملكي أو الجيش أو الحريم الملكي أو الكهنة حتى أنها وصلت إلى الدائرة الضيقة من الحاشية المحيطة بالملك وذلك لتخفيف حدة ردة الفعل من الموالين ومن الشعب حتى وصل عدد المتآمرين لثلاثين ، 2008–2007، 224). وكان من الحنكة Ahmedفرداً. (جراندييه، 2003، ص 310،309،308. والدقة اختيار توقيت التنفيذ بحيث يكون حشد كبير من العمال المنتظرين مخصصاتهم من سفينة الإله التي ستصل إلى طيبة للمشاركة بالعيد وذلك لتشتيت انتباه حراس البوابات وإلهائهم عن أي اضطراب ممكن أن يحدث بالإضافة إلى أن البوابة التي قرروا الدخول منها إلى القصر كانت عبارة عن باب جانبي يفتح على جناح الحريم يكون قدر الإمكان بعيداً عن عيون الحراس.(سعد الله، 2001، ص 310).

وزيادة على ذلك وإمعاناً في التخطيط الدقيق لهذه اللحظة والحرص على عدم حدوث أي خطأ صغير مهما كان حجمه يهدد أهداف المؤامرة لجأت الملكة " تي " إلى السحر الأسود حيث استطاعت استمالة وضم اثنين من كبار الكهنة إلى قائمة المتآمرين وهم " رئيس الكهنة الشعائريين " الذي كانت وظيفته تنظيم المراسم الدينية التي تقام في جميع معابد مصر والكاهن الثاني هو " رئيس كهنة الإلهة سخمت تل بسطة " اللذين كانوا يتقنون السحر الأسود وعلى درجة كبيرة من الكفاءة في مجالات السحر والطلاسم وكان لها ما أرادت، فقاموا بعمل تماثيل صغيرة من الشمع على شكل الحراس وأتلوا عليها سحرهم وأعدوا مشروبات مخدرة كان الهدف منها سحر حرس الحريم ليغطوا في نوم عميق أثناء الدخول إلى القصر.(جراندييه، 2003، ص 310،311. سعد الله، 2001، ص 310،311).

وعلى الرغم من كل الخطوات المدروسة بإتقان لتحقيق الغاية المرجوة من المؤامرة إلا أنه لم يكتب لها النجاح وانكشف أمرها وسبب فشلها هو العدد الكبير للمتآمرين حيث تهيأت فرصة

لتسريب أسرارها حتى وصلت لبعض الإداريين الذين احتفظوا بقدر من الولاء للملك وقاموا بالتبليغ عن المؤامرة وأفرادها فما كان من الملك إلا أن أمر بتشكيل محكمة بلغ عدد أعضاءها اثني عشرة قاضياً تقع على عاتقهم وعلى مسؤوليتهم الشخصية استجواب ومحاكمة المتهمين وفرض العقوبات المناسبة بحق الجرم المرتكب وذلك ماورد في " بردية تورين القضائية ". ، 2008–2007، 224). Ahmed(جراندييه، 2003، ص 313،311. سعد الله، 2001، ص 311. وهذه المحكمة تعتبر محكمة خاصة استثنائية وذلك أن المؤامرة طالت شخص الملك بذاته ففي العادة كانت المحاكم لها ترتيب معين حيث كانت تتكون من الوجهاء في كل إقليم يترأسها موظف أثناء المحاكمة وكان الوزير بنفسه يترأس هذه المحاكم في العاصمة، (باقر، 2011، ص 164). لذلك كان أفراد هذه المحكمة الخاصة من موظفين مختلفين من موظفي القصر المخلصين للملك ومحل ثقته (سعد الله، 2001، ص 311). وأعطاهم صلاحيات مطلقة من حيث إحضار المتهمين وتحديد العقوبات بحسب الجرم المقترف فكانت التعليمات على لسان الملك:

" ..... إذهبوا إليهم وأفحصوهم، والمذنب يموت
بما اقترف من ذنب، وإن كنت لا أعرف من هم .....
..... إحذروا من أن توقع العقوبة على أحد بغير وجه
حق من موظف لا يرأسه، هكذا قلت لهم (للقضاة)
وكررت القول مراراً، وأما ما تم فإنهم هم الذين قاموا به
ليقع عبء ما قاموا به على رؤوسهم، فإنني معفى ومحمي إلى
أبد الأبدين بوصفي واحد من الملوك العدول في حضرة
آمون رع ملك الآلهة، وفي حضرة أوزير حاكم الأبدية." (سعد الله، 2001، ص 312).

لهذه التعليمات دلالتان الأولى حرص الملك الشديد على إحلال العدالة بحق المتآمرين مع أن الهدف كان شخصه والثانية تدهور مكانة الملك الكبيرة لدرجة أن أقرب الناس إليه وذوو المناصب العالية وأصحاب الدائرة الضيقة المحيطة بالملك هم الذين تجرأوا على التآمر للإطاحة به. (سعد الله، 2001، ص 312). هذا الإهتمام الكبير بالعدالة كان نتيجة القسوة المتناهية في

القانون الجنائي في العقوبات فتبدأ بالتعذيب حتى كان في بعض الأحيان أن تطال الشهود أنفسهم وتنتهي بالإعدام لكن بأشكال غريبة مثل إلقاء المحكوم في بركة من الماء مليئة بالتماسيح أو يسمح للبعض بحسب مكانتهم أن يقتلوا أنفسهم بأنفسهم، كما كان هناك عقوبة تقضي ببتر الأعضاء ومن ثم الحكم بالأعمال الشاقة في معسكرات خاصة.(باقر، 2011، ص 164). وأيضاً هناك عقوبة لا تقل أهمية مما سبقها ومن الممكن أن تكون أشد ألا وهي عقوبة النسيان حيث تقع بحق من ارتكب جريمة نكراء لا يمكن غفرانها مثل المؤامرة على شخص الملك وهذه العقوبة تتم بمحي أسماء المجرمين من فوق الجدران التي نقشت عليها من قبل ويتم استبدالها بأسماء تدل على التحقير والازدراء ومن الممكن أيضاً استبدال الأسماء بأسماء أخرى تدل على غضب الآلهة عليهم، وهذه العقوبة تعد على درجة كبيرة من القسوة لأن الإنسان المصري يعمل جاهداً طوال سنين حياته من أجل إحياء اسمه في الحياة الدنيا ليضمن خلوده بعد مماته في الحياة الأخرى. (جراندييه، 2003، ص 306،307).

وكانت الإجراءات المتبعة في المحاكم أن يحضر المتهمون إلى المحكمة بحضرة المحكمين بعد اعترافهم بالجرم الذي اقترفوه وبعد تجريدهم من ألقابهم واستبدال أسمائهم الحقيقية بأسماء أخرى تتم مناقشة جرائمهم التي ارتكبوها وينال كل متهم ما يستحق من عقاب على ما اقترفت يداه من ذنب، (سعد الله، 2001، ص 313،314) وكان قرار هذه المحكمة الخاصة بالمؤامرة أن تنوعت فيها الأحكام بين الإعدام على البعض وعدد آخر من المتهمين كان يجب عليهم تنفيذ حكم الإعدام بأنفسهم لفداحة جرمهم ومنهم كانت عقوبته الجلد والسجن ومنهم من حكم عليهم بجذع الأنف وصلم الأذنين وذلك بعد عانوا وهم أحياء من عقوبة " الموت الثاني " والفناء الكلي نتيجة تسميتهم بألقاب تدل على التحقير والإهانة والمذلة (صالح، 1980، ص 243،244. جراندييه، ، 2008–2007، 224). أما Ahmed2003، ص 314،315. سعد الله، 2001، ص 311،312. مصير العقل المدبر للمؤامرة الملكة " تي " ظل مجهولاً وليس هناك أي وثيقة جاءت على ذكر مصير الملكة لأنه كان مرهون بيد الملك بشكل مطلق وذلك أن زوجات الملك وبناته كانوا يتمتعون بنفس درجة القداسة والتبجيل للملك ومن غير المسموح لأي محكمة مهما كانت أن تقوم

، 2008–Ahmedبمحاكمتهن. (جراندييه، 2003، ص 315،316. سعد الله، 2001، ص 314. 2007، 224).

أما مصير الملك " رمسيس الثالث " فهناك اختلاف بالآراء فمنهم من اعتقد أنه توفي نتيجة المؤامرة وتم تشكيل المحكمة بإشراف ابنه وخليفته على العرش الملك "رمسيس الرابع " ومنهم من قال أن الملك نجا من المؤامرة وعاش لفترة قصيرة بعدها وهو الذي أمر بتشكيل المحكمة وأعطى أوامره لأعضائها والدليل أنه نجا من الموت هو خلو مومياؤه من أية جروح عند العثور عليها في ، 2008–2007، 224). وبعدها Ahmedخبيئة الدير البحري. (سعد الله، 2001، ص 315،314. بقليل وبالتحديد في الخامس عشر من الشهر الثالث من فصل الصيف (الشمو) وفي العام الثاني والثلاثين من حكمه وافت المنية للملك حيث تم تصنيفه من سلسلة الملوك العظام الذين حكموا مصر لفترات طويلة تركت بصمة كبيرة في التاريخ على الصعيدين الداخلي والخارجي. (جراندييه، 2003، ص 316،317. سعد الله، 2001، ص 315،316).

خامساً: الأوضاع الداخلية بعد وفاة الملك " رمسيس الثالث "

استلم الحكم في مصر الملك "رمسيس الرابع" بعد وفاة أبيه الملك " رمسيس الثالث " الوريث الشرعي وتتابع ثمانية ملوك في الأسرة عشرين حتى الملك "رمسيس الحادي عشر " وكلهم حملوا اسم " رمسيس "، لكنهم حملوا الاسم فقط ولم يحملوا أي من صفات العظمة ورجال الحرب ، 2008–2007، 224.) وكان همهم الشاغل إقامة المقابر الضخمة تمثلاً Ahmedوالإصلاح(بمقابر الملوك الذين سبقوهم والذين كانوا على درجة من القوة والغنى ومنهم الملك " رمسيس السادس " الذي كانت مقبرته من أضخم مقابر طيبة، كان كل هذا الإسراف في ظل تردي الأوضاع الاقتصادية في عهدهم وانحصار الثروة في أيدي الكهنة والطبقات العليا من المجتمع والدليل على ذلك أن فترة حكمهم كلهم كانت بين 75 و80 سنة فقط اشتركوا جميعاً بالضعف ، 2008–2007، 225.) وعدم تمكنهم من صناعة أي قرار Ahmedوبأنهم ألعوبة بيد الكهنة (لإيقاف الفوضى والانحلال في جميع مرافق الدولة وكف الظلم عن الموظفين والطبقات الفقيرة،

وكان نتيجة ذلك أن عانى فيها الشعب المصري أسوأ ظروف معيشة حيث كثرت السرقات والرشاوى وانعدام الأمان وسرقة مقابر الملوك وانتشار المجاعة، هذا كله كان على الصعيد الداخلي أما على الصعيد الخارجي ونتيجة ضعف قبضة الملوك فقد تجددت هجمات القبائل الليبية على الحدود المصرية لدرجة وصلت إلى المناطق القريبة من طيبة كما أنه ليس هناك أي دليل على احتفاظ مصر بسلطانها على أراضيها في فلسطين وسورية بعد وفاة الملك "رمسيس الثالث ". (صالح، 1980، ص 245،246. مرعي، 2005، ص 228،229. سليم، 2008، ص 90Ahmed.). سعد الله، 2001، ص 315،316. ، 2008–2007، 224)

الخاتمة والنتائج:

وفي نهاية هذا البحث يتبين لنا ضرورة دراسته لغنى هذه الفترة من تاريخ مصر بكل ما جاء فيها من أحداث سواء خارجية حيث توجب على الملك رمسيس الثالث الحروب لمدة طويلة على كل الإتجاهات حيث خاض حروب قوية مع القبائل الليبية في السنة الخامسة والسنة الحادية عشر من حكمه الذين طمعوا في العيش في الدلتا لخصوبة أرضها مما أجبره على تأجيل الأعمال التي اعتاد الملوك القيام بها في بداية سنين حكمهم والتي كان أهمها تفقد المعابد وذلك لإرضاء الآلهة من جهة، ومن جهة ثانية كان لإرساء دعائم حكمه المستمد من الآلهة. وعلى الرغم من أن السنين الخمسة الأولى من حكمه لم تتوفر معلومات كافية عنها، إلا أنه كانت عليه مهمة تمكينه من الحكم حيث أنه لم يكن هو ومن قبله أبيه وريثين شرعيين للحكم فكان إثبات حقهم بالحكم له الأولوية ومن ثم تأسيس جيش قوي الذي لم تقتصر مهمته على الدفاع عن حدود مصر وإنما كان له مهام داخلية أيضاً. وفي السنة الثامنة من حكمه كان عليه خوض حروب أقوى وأعنف مع شعوب البحر الذين كانوا على درجة كبيرة من الخطورة حيث حولوا كل الأراضي والممالك التي كانت في طريقهم إلى مصر إلى لا شيئ بحيث عانت المنطقة من فراغ سياسي لم تستطع مصر ملؤه ولا حتى مناطقها التي كانت تابعة لها في سورية. خطورة شعوب

البحر تمثلت بهدفهم الإستيطان بعد القحط الذي عانوا منه فوجدوا في الأراضي المصرية الملاذ الآمن للعيش الكريم، بذلك كان الملك أمام خيارات صعبة من أجل تأمين حدود دولته من جهة، وأحداث داخلية احتاجت جهد كبير من الملك لإعادة بناء هيكلية دولته من جديد بعد الضعف الذي دب في أوصالها في أواخر عصر الأسرة التاسعة عشرة، وأيضاً أحداث على صعيد الملك نفسه حدثت لأول مرة حيث تم تصوير الملك بأبعاده الحقيقية وإضرابات من قبل عمال دير المدينة للمطالبة بحقوقهم وقوتهم اليومي، ولم تقف الأحداث عند هذا الحد بل وصلت لدرجة أن تعرضت حياته للخطر في أواخر سنين حكمه على يد إحدى زوجاته الثانويات الأجنبيات الملكة "تي" التي حبكت مؤامرة بمنتهى الذكاء أطلق عليها مؤامرة الحريم الهدف منها أن يرث إبنها العرش بدل الوريث الشرعي.

المراجعReferences

باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة (حضارة وادي النيل)، ج2، بغداد، 2011.
سليم، أحمد أمين، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم (مصر، سورية، العراق، إيران، آسيا الصغرى)، بيروت، 2008.
صالح، عبد العزيز، الشرق الأدنى القديم (مصر والعراق)، 1980.
سعد الله، محمد علي، في تاريخ مصر القديمة، ج1، الإسكندرية، 2001.
جراندييه، بيير، رمسيس الثالث (قاهر شعوب البحر)، مصر، 2003.
الحويلي، سليمان حامد، شعوب البحر في المصادر النصية والأثرية ومظاهر الخلط في تمثيلهم في النقوش المصرية، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، مجلد (16)، القاهرة، 2015.
مرعي، عيد سعيد، موجز تاريخ مصر القديم وحضارتها، السعودية، 2005.

Ahmed, Mahmoud Abed al-Hameed, Studies in the Pharaonic Egyptian History, Damascus University, Press 8, 2007-2008.

Aboud, Jehad, The European Invasion and the Unity of Destiny-Anatolia, The Levant and Egypt (In the Second half of the Second Millennium BC.), Damascus University Magazine, folder 36, No.4, 2020.